لذعاتِ نبيذِ مونرو

الكتاب: لذعاتِ نبيذِ مونرو (قطوف)
المؤلف: حميد عقبي
النّاشر: دار الدّراويش للنّشر والتّرجمة- بلوفديف- بلغاريا
Дервиши

العدد: ١٤٨٠
الطبعة الأولى فبراير ٢٠٢٥
٩٧ ص؛ ٢١× ١٤ سم.

الكتب والدّراسات التي تصدرها الدّار إنما تعبّر بالضرورة عن آراء ووجهات نظر واجتهادات أصحابها، ولا تمت لرأي الدّار بأي صلة.

تم الإيداع في المكتبة الوطنية صوفيا بلغاريا : ٢٠٢٥

(ISBN) (ردمك) الورقي 978 - 3 - 98529 - 014 - 7
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي: بدر السويطي.
الصفّ الضوئي والإخراج الداخلي: محمود عنتر
فرز الألوان والتنفيذ الطباعي: دار الدراويش للنشر و الترجمة
المدير العام: بدر السّويطي

للتواصل:
الدّراويش للنّشر والتّرجمة
daraldarawesh@gmail.com
هاتف: 00359876691445، ص.ب: 4210
شارع تورغوفسكا رقم ٧- ستامبوليسكي- بلوفديف- جمهورية بلغاريا.

© كافة حقوق النّشر، الطبع والاقتباس محفوظة، عدا حالات المراجعة والتّقديم والبحث والاقتباس العادية ذكرًا للمصدر؛ فإنه يحظر إعادة إصدار، نسخ، تصوير، ترجمة أو اختزان -ورقيًا أو إلكترونيًا- أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها في نطاق استعادة المعلومات -سواء كانت تصويرية، إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التّسجيل الفوتوغرافي أو التّسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة وغيرها-، دونما الحصول على تصريح خطي مسبق من النّاشر والإشارة إلى المصدر.
وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع -دون موافقة كتابية- يعرّض صاحبه للمساءلة القانونية.
*تباع النّسخة إلكترونيًا عبر موقع الدّار.

لذعاتِ نبيذِ مونرو

حميد عقبي

©
الدّراويش للنشر والتّرجمة
AL-DARAWESH FOR PUBLISHING & TRANSLATING
WWW.DARAWESH.COM

بلوفديف -جمهورية بلغاريا
Plovdiv-Bulgaria
2025

الإهـداء

إليها، وإلى بغداد التي علمتني أن أرفع كأسي الأول.

كلمة شكر أنيقة

للناشر والشاعر بدر السويطي ولدار الدراويش للنشر والترجمة
كلمة شكر للصديق د. خالد درويش

لذعات نبيذ مونرو

في ديـوان «لذعـاتِ نبيذِ مونرو»، يبحـر حميد عقبي، الشـاعر والفنان التشكيلي اليمني المقيم في فرنسا، عبر عوالم تلتقي فيها الجغرافيا مع الذاكرة، وتلتفت أسئلة الهوية والوجود في عالم مضطرب. من خلال نصوص هذا الديوان، يسلط الضوء على الصراع الدائم بين الأمل والخيبة، وبين الحرية والتقيـد. هنا، لا تقتصر الكلمات على مجـرد وصف للعواطف، بل تصبح أدوات فنية تبحث عن المعاني العميقة في ثنايا المواقف الحياتية البسيطة.

بينـما ينجـرف القـارئ في قصائـد تلامس الواقـع المأسـاوي للحرب والغربة، فإنه يجد نفسه يواجه أيضًا لحظات من الجمال والمشهدية، لحظات تتحرك فيها مشـاعر العشـق والفقدان على حافة الذاكرة. السـطور تمزج بين المحكي الشـخصي وبعض التجارب العالمية الإنسـانية، إذ تأتي الكثير منها مشـحونة بموسيقى روحانية وأسـاطير وخرافات، تعكس تأثيرات التواجد بين ثقافتين، اليمن وفرنسـا، وترسـم ملامح معركة لا تنتهي بين الهوية والتغيير.

في هـذا الكتـاب، يجد القـارئ دعوة للغوص في عمـق المعنى؛ لا مجرد اسـتمتاع بـالأدب، بل تحديًا فكريًـا وإبداعيًا يحاكي قلـوب أولئك الذين لا يزالون يسـعون لفهم أنفسهم، كما يبحثون عن سلام في زجاجات نبيذ تاريخية، على الرغم من قسوة الحياة.

هيستيا.. ترفضُ طلبي

أبحثُ عن البحرِ كي أصلَ إلى عينيكِ
سحاباتٌ وسُحُب
يحتفلون في الأعلى،
يرقصون دونَ فعلِ الكثيرِ من الضجيج،
حتى لا تَصْحُوَ ملائكةُ المطرِ،
ولا أحصنةُ الريحِ المخمورةِ،
ولا الريحُ المُرهقةُ من كثرةِ دفعِ الكثيرِ من الجبالِ الثلجية.
لم تعد أذرعُ الريحِ تحتملُ هذه الأشغالَ الشاقةَ.

ثم يذهبُ المطرُ إلى بُلدانٍ ومدنٍ نهريةٍ،
مدنٌ متخمةٌ بالخضرةِ والألوانِ.
سألتُ الريحَ: «اغسليني ببعضِ المطرِ»،
علاماتُ تعبِ نبيذِ البارحةِ تشوِّه وجهي.
أرى الجفافَ في وجهي،
أرى الغبارَ في دمي،

والسوسُ ينخرُ حطبَ الذكرياتِ القديمةِ.
أنتَ تعلمُ، أيها الليلُ، ولعها للرقصِ،
وستحتاجُ أن تغسلَ ضفائرَها، وربما تُزيل الشعرَ الزائد.
نعشقُ القبلاتِ ونتبادلُها،
ونبحثُ عن طرقٍ جديدةٍ لمزيدٍ من اللذةِ،
لمزيدٍ من المعرفةِ.
فهي تحاولُ أن تخلقني كشاعرٍ،
أن تعجنَ طينتي وتضعَها لشهرٍ كاملٍ في «برجِ الحوتِ».

تريـدُ أن تبعثني في زمنٍ يكونُ فيـه «مارس» يخطو خطوتهُ الأولى ليلجَ العقربَ.
لم أفهمْ إلى الآنَ خارطتَها،
ولم أحفظْ تلكَ الترانيمَ التي استعان بها «يوسيفوس» وهو يبني «قصرَ شوشن»،
وتلـكَ الأغـاني التـي كانـت تسـاعدُ «نبوخذ نـصَّر» لينـامَ في حضنِ جواريه،
بعدَ أن يطمئنَّ أن الشعبَ صلَّى ونوى الصيام،
وأن حكماءَ بابل لم يُكثِروا من النبيذِ.
أنا قليلُ الحفظِ وكثيرُ الهذياناتِ.

أرفعُ رأسي إلى السماءِ
يُخَيَّلُ لي أن أهلَ الأرضِ تسلَّقوا السماء،
ساعدتْهم تلكَ الشجرةُ في حلمِ «نبوخذ نصَّر».
لم يستمعِ الملكُ إلى نصيحةِ «دانيالَ» وحلِّه الذكي.
اقترحَ عليهِ أن يُقطَعَ رأسُ الشجرةِ،
وأن يُقيَّدَ ساقُها ويُحيطَها بحوضٍ من النحاسِ والرَّصاصِ المذابِ.
كانت ستسقطُ أعشاشُ الموتِ،
حيثُ خليلاتُه وصورٌ لحياتِه الخاصةِ،
الكثيرُ من خرائطِه وأرشيفِه السريِّ.
يذهبُ الماءُ إلى هناكَ،
إلى البعيدِ.

يَزدادُ جفافُ أصابعي،
وترتعشُ بيدي الريشةُ وقصعةُ اللونِ، وتقعُ صورةٌ لمثلةِ بورنو.
كنتُ أحتاجُها كموديل،
في رأسي خيالاتٌ لأرضٍ حُبلى ونخلاتٍ يرقصنَ،
لكائناتٍ سماويةٍ تمضي عطلتَها في مداعباتٍ
بعدَ منتصفِ الليلِ.

أدركتُ أني وحدي وأنها لم تأتِ.
أرفعُ رأسي مرةً أُخرى إلى السماءِ،
أهمسُ لبعضِ النجماتِ العارياتِ الصدرِ،
أحاولُ أن أستعيدَ توازني،
أن أتذكَّرَ الزمنَ.
أرفعُ كأسي الأولَ ثمَّ الثانيَ والثالثَ.
أسمعُ همساتِ «هيستيا»،
تجرُّ ذبيحتَها، بقرةً عِشارًا وسَمينةً.

عشيقتي ليست من عذارى «هيستيا».
مارسنا الحبَّ أكثرَ من ألفِ مرةٍ،
طلبتُ منها أن تُعفيها من الخدمةِ والرقصِ في حضرتِها،
وأخبرتُها أنها تحلمُ أن أكونَ شاعراً ولو لليلةٍ واحدةٍ.
بعد ليالٍ مُعتمةٍ،
سمعتُ أنَّ «هيستيا» تعيشُ حالةَ حزنٍ وجنونٍ.
يقالُ إنها وجدت حمارَها المقدَّس مذبوحاً.
طلبتْ من الله أن يُعيدَه إليها كما كان.
ليستجيبَ الرَبُّ دعوتَها، نصحَها البعضُ أن تتركَ الضحكَ وتطردَ الراقصاتِ.

من تلك الليلةِ أصبحتْ امرأةً مُتجهِّمةَ الوجهِ،
ترتدي أثواباً طويلةً،
غطَّت رأسَها وجعلت يدَها اليُمنى في مواجهةِ صدرِها،
وأمسكت بيدِها اليُسرى صولجاناً.
بعد ذلك انتزعه «جوبيتر» منها ليُخيفَ به طائرَ العُقابِ المُوكَّلَ بالرعدِ والصواعقِ.

كأسي الأخير

قد أُقلعُ عن التدخين،
سأكسرُ كأسي، وربما لن أُكمِّل زجاجتي الأخيرةَ.
رأسي ليس بخيرٍ،
خيالاتي تارةً تكون متهوِّرةً ومجنونةً،
وتارةً خاملةً، باردةً، لا تتحرك.
كم من مرةٍ أغرتني النادلاتُ،
نعم.. فأنا ضعيفٌ وتتفجَّرُ شعريتي مع بعض الملامسات.
هنالك ملامساتٌ عفويةٌ وغيرُ مقصودةٍ،
لكن بعضها يكون أقوى من مضاجعةِ ليلةٍ طويلةٍ.

ماذا لو تركتُ شربَ النبيذِ وبدلتُه بعرق ماركة «محمد طملية»؟
لماذا لا يوجد نوعٌ من العرق باسم «محمد طملية» أو «سعدي يوسف»؟
أو باسم «حكمت الحاج» مثلاً؟
أسئلةٌ كثيرةٌ وبعضُها سخيفةٌ،
كلها تدورُ في ذهني،

بعضها يتقافزُ عند الصباحِ الباكر،
بعد أربعِ ثوانٍ من يقظتي.
أعلم أني في هذه اللحظةِ لستُ حيّاً ولستُ ميتاً،
بين عالمين،
لكن بعض الصور تتقافزُ من الماضي البعيدِ أو المتوسط،
وقد تأتي لقطةٌ من فيلم.

«غيتا» تلك الفتاةُ الغجريةُ بمسلسل «الفتاة المتمردة»،
عاشقةُ الرابّ،
طردتها عائلتُها الكبيرةُ لأنها كشفت عن صدرها في أغنيتها.
حلقت شعرَ رأسِها،
كسرتْ كلَّ التابوهات.
همستْ في أذني:
«سأظلُّ رومية غجريةَ القلبِ والدمِّ،
كذلك العشيقةُ المتقنةُ لرقصِ الروم،
ترسلُ لي لقطاتٍ مشوشةً لرقصها في اليقظةِ وأحلامِ النوم.»

وذلك المشهدُ،
تلكَ المضاجعةُ التي لا تُنسى، وهي بملابسِ رقصِ الروم،
حبات الجليتر،
أشعرُ أنها ستظلُّ ملتصقةً بجسدي،
تلمعُ الشراشف،
تقهقهُ الجدران،
يعرجُ الندى.

أحدهم يطرقُ الباب،
صراخاتٌ تملأ الخارجَ،
لا أجدُ صعوبةً للتخلص من الثمالةِ،
لكنني أجدُ صعوباتٍ في نسيانِ تلك المشاهد.

هتافٌ يأتي،
ربما من السماءِ الدنيا،
وربما توجدُ سماءٌ أسفلَ منها،
وثمانُ سماواتٍ فوقها.

عضَّ يونسُ يده،
في جُبِّ الظلماتِ وجد قنينةً ولوحةً تشكيليةً في بطنِ الحوت،
كانت اللوحةُ غيرَ مكتملةٍ،
وجد ببطنِ الحوتِ أكثرَ من لونٍ وأدواتِ رسمٍ،
حاولَ أن يفتحَ القنينة،
كلما انهمكَ بالرسمِ زادت شراهته لفتحها،
التوقُ لشربةٍ ولبعضِ الجرعات،
ثم نام،
لم يعلم إن كان أصدرَ شخيرًا
أم كان نومَ طفلٍ كسول.

كأسي الأخيرُ،
يفيضُ بالرغوةِ،
بالحمرةِ،
بخيالاتٍ مستحيلةٍ،
بقصصٍ لم أكن شاهدًا عليها.

سمعتُ أن «سيرين هوروانغ» ستغني قريباً في باريس،
لكنها لا تتقنُ رقصَ التانغو ولا رقصاتِ الرومِ والبربر.
سأركبُ القطار،
سأكونُ في حديقةِ «لوكسمبور»،
أشاهدُ البجعَ والبطَّ،
تهمسُ لي إحداهنَّ:
«هاتِ يدك، ارفعْ كأسكَ.»
قلتُ لها: لا كأسَ لي،
لا حبيبةَ، ولا اسم.

لذعاتِ نبيذِ مونرو

لا تخجلُ الشجرةُ من جسدها العاري،
ترقصُ رغم أضلعها المكسورة،
تبتسمُ للريحِ لعلها تقللُ جنونها،
يفرشُ البردُ أرديةً من سرابٍ،
مضى القمرُ الأزرق،
نسيه الناسُ ولم يعد أحدٌ يتداولُ صوره.

ولدتني الشمسُ في صباحٍ ممطرٍ، أسمعُ وشوشاتِ المطر، يأتي من النوافذِ.
يرتسمُ في ذهني ذلك المشهد،
أشعرُ أن ألوان السماء ناقصة،
في انتظارِ أن يستقرَّ المشتري في برج الجوزاء،
قد تكون حظوظنا أحيانًا جيدةً.

خيالاتُ العشق القديم،
صورُ العشيقةِ تمدُّ لي بالكأسِ،
تخفي القنينةَ وتهمسُ : لنفعلها بصورةٍ مختلفةٍ.
أقولُ لها: كما في أفلامِ البورنو؟
تصفعني وتصرخُ: نو نو،
تبتسمُ كما النجماتِ ، يسبحنَ بصدورٍ عاريةٍ في لجةِ الظلمةِ،
وأنا أرسمُ لوحةً لامرأةٍ عاريةٍ.

بعد أن انتهيتُ من اللوحة، ظهر لي ما يشبه الجرحَ أسفل البطنِ،
ثمة كتلةٌ باللون الأحمر في الجانب الأيسر،
كأنها خطأٌ غير مقصودٍ،
لكن اللوحةَ اكتملت.

أشعرُ بلذعاتِ طعمِ نبيذ مونرو،
يسخنُ رأسي بعد الكأسِ الثاني،
كتب لي أو قرأتُ لصديقي نبيل شوفان: «(سنحبُّ إناثاً تقيمُ فوق رؤوسهنَّ الملائكةُ أعشاشها،
وتعيشُ في غمازاتهنَّ يرقاتُ الفراش.)»

وأنـا أحـاولُ تفكيكَ المشـهدِ، كادت أن تصطـدمَ بوجهي فراشـةٌ ثم غادرت إلى البعيد.
أنتظرهـا لتعيدَ المحاولة، وأنتظرُ أن أرى وجهَ ملاكٍ غير الموت، ملاكاً للعشقِ وللّذة، يعيدُ ترميمَ حطامنا وتجاربنا الفاشلة، ويجمعُ بين فرقاء العشقِ، ويجعلنا نشعرُ بجمالِ اللهِ الطيّب، الذي يحبُّ كلَّ أطفاله.

البحثُ عن ليلى س في المدنِ الثلجية

أشعرُ بدوَرانِ الرأسِ،
مغصٌ في المعدةِ وفقدانٌ للتوازن،
فقط بعد جرعةٍ صغيرةٍ من النبيذ.
أعاقرُ الخمرَ وأدخنُ بشكلٍ رسمي منذ ثلاثين عامًا،
كان الخمرُ يمدني بصورٍ خياليةٍ مبهرةٍ،
وأتلذذُ بقبلاتِ التبغ،
وأعرفُ أنَّ موتي قريب
مع ذلك أُقبِلُ بشراهَّةٍ على المغامراتِ المهلكة،
لا أهتمُّ بهمساتِ الموت.

أودُّ تدوينَ خيالاتي بأسرع ما يمكن،
بصورٍ وأساليبَ متعددةٍ،
لكنها تتدفقُ أكثرَ وأكثر،
أخاف أن تضعفُ لغتي يومًا بعد يوم.
أتخيلُ أن أعثرَ على عشيقةٍ شجاعةٍ،

تجعلني أكتشفُ ذاتي وهذا الكونَ المضطرب،
تدفعني أن أكتبَ عن العشق،
أن أنسى الموت.

لم تعد فكرةُ تغييرِ العالمِ مغريةً،
سيظلُّ الكونُ كما هو،
تغيراتٌ مناخيةٌ غير متوقعةٍ وسوريالية،
والحروبُ هنا وهناك.
لم أشترِ صحيفةً منذ سنواتٍ طويلةٍ،
ونادرًا ما أشاهدُ قنواتِ الأخبارِ،
لم تعد تروقُ لي سخافاتُ النقاشاتِ السياسية،

أميلُ إلى تصفح ما يكتبهُ الشعراء،
كثيرًا ما نتحدث عن الجمالِ والعشقِ،
عن الخمرِ والقبلاتِ،
وأسترقُ لحظاتٍ لمشاهدةِ أفلامِ ليلى سين.
زارتني ذاتَ مرةٍ في الحلمِ
وقالت: «ظلموني».

تقول ليلى سين، نجمةُ أفلام الكبار،
أنها تحبُّ الناسَ والكونَ،
تسعى أن تسعدَهم في أفلامها،
وتحكي أنها تبحث عن السلامِ والسعادة.

في حلمِ اليقظةِ فقط أتحدثُ مع العشيقةِ،
رأيتُها غاضبةً لأني أشاهدُ ليلى،
أنصاعُ إلى هذه الهمسات.

العشيقةُ البعيدةُ لن تعود،
لا حظَّ لي في العشيقاتِ والحبِّ،
لم أعدْ مبدعًا في جذب الجميلات لمغامرات جديدة،
ترتعشُ يدي وأنا أمسكُ قنينةَ النبيذِ،
تهتزُّ يدي وأنا أمسكُ القلمَ أو ريشةَ الرسمِ،
أتلعثمُ عند مغازلةِ امرأةٍ،
أفقدُ توازني بعدَ أولِ كأسٍ.

أعتذرُ إلى ليلى سين،
والتي تعاتبني لأني لا أُكملُ مشاهدةَ حكاياتها،
لم أعدْ أصلحُ لأشياءَ كثيرةٍ،
والموتُ يقتربُ أكثرَ،
تتزاحمُ صورُ الحروبِ،
تختفي من ذاكرتي شهقاتٌ وهمساتُ اللذةِ،
لياليا.. ألفُ ليلةٍ وليلةٍ،
ليلةُ العناقاتِ الأولى،
كنتُ في وقتِها شاعرًا،
الآن...
لم أعدْ أعرفُ صفتي كي أضعها عنوانًا لسيرتي الذاتية.

لم تكن الحرب

يلبسُ الليلُ المعاطفَ لكنها باردة،
يسدُّ أنفه بسببِ أدخنةِ الجثثِ المتفحّمة،
لا ماءَ ولا مطرَ للأحياءِ والموتى،
الكلُّ سواسيةٌ في العذابات،
لا خمرَ للعشاقِ،
لا حبرَ لمن يرغبُ في الكتابةِ،
تئنُّ الأرضُ،
السماءُ أكثرُ قسوةً،
صامتةٌ،
متجمدة.

أراقبُ الوضعَ عن كثبٍ،
ما يحدثُ في داخلي يفوقُ انفجاراتِ هذه الحروب،
لا أعرفُ متى أسكرُ؟
أودُّ أن أرتمي ثملًا،

جسدًا لا حراكَ فيه،
أن تتوقّفَ كلُّ هذه الأصواتِ التي أسمعُها.

مرضتُ لبضعةِ أيامٍ،
سمعتُ أن كلَّ لحظةِ ألمٍ ستكونُ قبلةً من الربِّ،
لم أذهبْ لمراجعةِ طبيبي،
فضّلتُ أن أتذوّقَ قبلاتِ الربِّ ويسوعَ وكلَّ القديساتِ،
أتذكّرُ طفولتي وولعي بمحبةِ وليِّ الله عبدِالقادرِ الجيلاني،
وزياراتي الكثيرة إلى ضريحِ الشيخِ أحمَدَ بنِ عجيل،
توجدُ بي مواصفاتُ المؤمنِ والوثني،
وكنتُ في طفولتي أسألُ كثيرًا عن الله،
وأتخيّلُ الملائكة.

سألتني العشيقة:
لماذا لم أكتبْ روايةً عن لياليا الساخنة؟
كنا خارجَ الكونِ والمنطقِ،
نفعلُ الحبَّ بجنونٍ،
لم تكن الحرب،

وظنّتْ أنها لن تكون، تحدثُ فقط في القصصِ والأساطيرِ القديمة.
لم تعدِ العشيقةُ، هنا،
لم تفِ بوعدِها،
لكنَّ حروبًا كثيرةً أصبحتْ حقيقةً،
عرفتُ الموتَ،
أصبحَ يعرفني جيّدًا.

العشيقةُ أصبحتْ تُنكرني،
تديرُ وجهَها،
نسيتْ أحلامَنا.
أهربُ من كلِّ هذا
إلى الكأسِ،
وحدهُ من يفهمني.

ماذا يفعلُ الرَّبُّ؟

لماذا لا يهبطُ الرَّبُّ إلى الأرضِ ليومٍ أو ساعةٍ؟
أهو مقتنعٌ بموقعه السماوي؟
أم أنه لا يحبُّ الجدلَ والنقاش؟
مضت قرونٌ طويلةٌ منذ آخر جدلٍ وحوارٍ مع البشر.
كلُّ الأنبياءِ ناقشوا بعضَ قراراتِ السماءِ،
أحبوا أن يفهموا بعضَ الأشياء،
لكن الرَّبَّ أظهرَ غضبَه.
ماذا يفعلُ الرَّبُّ في السمواتِ العليا المرتفعة؟
أيحقُّ لنا أن نعرفَ جدولَ أعماله؟
لم يردُّ أحدٌ على صرخاتِ الأطفالِ الخدجِ،
ولا الأمهاتِ الثكالى،
وتصفيقِ الجداتِ.
ربما خلق الرَّبُّ أقوامًا أخرى،
وأرسل إليهم الأبناءَ والبناتِ،
ليحضروا حفلاتِ العرسِ،

ويرقصوا دون خوفٍ،
حيث لا شيطانَ يحضُّ على القتلِ،
حيث لا قنابلَ مسيلةً للدموعِ لتفرقةِ المظاهراتِ.
في كواكبَ أخرى حيث الحياةُ،
وحيث العشقُ مباحٌ،
والخمرُ مباحٌ،
الكتابةُ مباحةٌ،
والرقصُ مباحٌ.
هناك يلتزمُ الموتُ ببروتوكولٍ خاصٍ،
يكتبُ كلُّ نفسٍ قبل أن تذوقَ الحشرجةَ الأخيرة.
هناك من يريدُ أن يغادرَ فيبعثُ برسالةٍ إلى الرَّبِّ،
يطلبُ المغادرةَ،
يكتبُ تفاصيلَ طقوسِ الجنازةِ والصلواتِ الأخيرةِ،
يكتبُ تفاصيلَ النقشِ على القبرِ ولونِ الخطِّ وحجمه،
يكتبُ أمانيه بعدَ الموتِ.
هنا لا أماني.
تفقدُ عشيقتكَ ولا يساعدكَ ليجمع بينكما،
ليجمع بينكما... ولو بالصدفةِ.

وقد لا يساعدكَ لتكملَ قصيدةً،
لتتعلمَ رقصةً،
لتختارَ لحظةَ الرحيلِ.
يفعلُ الموتُ ما يشاءُ
بلا قيودٍ.
لم يُعاقبْ من السماءِ ولو مرةً واحدةً،
رغم كلِّ هذه الأخطاء،
رغم البشاعة،
وكلِّ هذه القسوة.
اعتقدُ أنَّ الرَّبَّ طيبٌ،
ربما يأخذنا من هذا العالمِ المتوحشِ،
ينقلنا إلى كواكبَ بعيدة،
حيث يمكننا أن نعشقَ،
نكتبَ بلا رقيبٍ،
نتخيلَ أكثرَ،
والقوارير مباحة وليسَت رجسًا.
لا أخافُ من الموتِ لأنه صديقي،
لكنني أخشى من أمراضهِ،

لم يعد يمتلكُ تلك الذاكرةَ الحديديةَ،
هو مرهقٌ،
أكثرُ منا جميعًا.

أخطاء الرَّبّ

لأول مرة ترفضُ معدتي النبيذَ،
ربما لِأنَّها خاويةٌ،
شربتُ كأسَ القهوةِ الكبيرِ كعادتي،
قرأتُ سريعًا بعض الأخبارِ الجديدة،
ودخنتُ ثلاثَ سجائرَ بعد الاستيقاظِ.
تزاحمت الأفكارُ والخيالاتُ في رأسي كعادتها،
قرأتُ رسالةَ إيفا الجميلةَ،
أترددُ في طلبِ موعدِ لقاءٍ خارجَ الصدفِ،
قد تكونُ فكرةً غيرَ سديدةٍ.
كانت أحاديثُنا قصيرةً جدًا،
لا أظنُّ أن صورتي علِقت في ذهنِها،
ربما كانت ابتساماتُها مجاملةً لطيفةً.
كلما بدأتُ الكتابةَ تظهرُ لي صورةُ الموتِ،
لأول مرة يظهرُ وهو يلبسُ نظارةً أنيقةً،
يحملُ مظلةً ورديةً مع خطوطٍ زرقاءَ ونقشٍ أبيضَ.

تمطرُ السماءُ بغزارةٍ منذ الصباح الباكر،
ثم تتوشحُ بالأزرقِ البهيجِ،
ثم يسيطرُ اللونُ الرماديُّ.
أعجزُ عن فهمِ لعبةِ الألوانِ،
تقنياتُ هذا المزجِ والتغيراتِ السريعةُ.
أشعلُ سيجارةً أخرى ليتغيرَ مذاقُ فمي،
أحاولُ أن أخرجَ من سيطرةِ صورةِ إيفا،
أن أهربَ من وشوشاتِ صوتِها.
لستُ على ما يُرامُ،
لا أحد في هذا الكونِ بخيرٍ.
تعودُ صورةُ إيفا في فكري،
تتلاشى صورةُ حوريةٍ،
والعشيقات السابقات.
أنا رجلٌ يسكنني الموتُ،
مارأيك الآن
خيالاتي مريضةٌ، متمردة ومبعثرة،
ربما لم أعد صالحًا للعشقِ،
لا للكتابةِ عن الواقعِ أو المعقولِ
ولا عن الحياةِ.

قيل لي: أن ملاكَ الموتِ طلبَ من الله مساعدينَ جدد،
وكتبَ مذكرةً مطولةً يشكو فيها تعبهَ،
يومَ كلفه اللهُ أن يقبضَ الأرواحَ،
اشترطَ عليه ألا يحزنَ،
وألا يبكي على الأرواح التي يقتطفها
ألا يكونَ شاعرًا،
ألا يقرأَ إلا الكتبَ السماويةَ الصحيحةَ،
ألا يفكرَ.
ثمة إشاعاتٌ في السماء،
يقالُ إن وظيفةَ الموتِ يمكنُ أن تذهبَ إلى ملاكٍ آخر،
يقالُ إن الرَّبَّ يريدُ أن ينهيَ حياتنا جميعًا،
يريدُ أن يستريحَ
من الحروبِ وهذياناتِ العشاقِ أمثالي.
لعلَّ الرَّبَّ أدركَ حجمَ الأخطاءِ والكوارثِ،
يومَ خلقَ الحربَ،
يومَ خلقَ الموتَ،
يومَ خلقَ العشقَ.

ماذا بعد الموت؟

لماذا نخافُ أن يعودَ أحدُ الموتى؟
ربما نخافُ أن يخبرنا
ألا شيءٍ بعد الموت.
يعدنا الموتُ أنه سيأخذُنا إلى أماكنَ لطيفةٍ،
وسيكونُ أطفالُنا فراشاتٍ، لا تشيبُ ولا يتغيرُ لونُها.
أنهم لن يجوعوا بعد الموت، ولا نحن.
جروحُنا الدامية ستنزفُ مسكًا وعطرًا،
وسيضحكُ اللهُ لنا كلَّ صباح.
ربما بسبب دخانِ الحربِ، لا أحدَ يرانا الآن،
بسببِ الطقسِ الرمادي،
لكنها لا تُمطر.
عادةً تكونُ أحلامُ يقظتي جنسيةً،
أشعرُ بجسدِ العشيقةِ التواقِ للعناقات.
تتدفقُ الرغباتُ.
بعد الحرب، لم تعد تلك الصورُ تطرقُ رأسي كما كانت.

تتدافعُ أشـياءٌ وصورٌ أخرى غير مفهومةٍ، ويتدفقُ السوادُ، وخيالاتٌ كئيبة.
تعبثُ بي الأصواتُ والصرخاتُ.
لا أحدَ منا آمنٌ.
ربما جمعينا سنموت.
يخدعنا بسهولةٍ
بالأماني الخضراء.
عندما أكونُ عاشقًا،
أتخيلُ كثيرًا الملائكةَ الطيبةَ والجميلةَ،
تهمسُ لي في حالاتِ العناق،
وبعد اللذةِ
تحضني أن أشربَ وأشربَ.
أهرعُ إلى الكتابةِ والرسمِ.
يقلقني أن أيوبَ ضربَ زوجته رحمةً لأنها قصت شعرها الطويل.
ليته لم يفعل ذلك.
رأيتهـا تبحثُ في إحدى الصيدليات عن شـامبوهات نباتية وكريماتٍ تطيلُ الشعر.
يقالُ إن اللهَ قال لها: «لن ينبتَ لكِ شعرٌ»،

وأن تقبلَ بزوجاتِ أيوبَ الشاباتِ،
ووعدها بجسدٍ جميلٍ بعد الموت.
لاتزالُ تنتظرُ وعدَ الله.
الأطفالُ يحبونَ اللهَ،
يغنونَ له،
وكل يومٍ يضيفونَ له اسمًا جديدًا.
لم تعد الملائكةُ تحيطُ بكل هذه الأسماء.
ثمة مرضٌ يصيبُ بعضها،
يقالُ إنه الزهايمرُ المبكر.
حتى أنا أصابتني أعراضُ هذا المرض.
من يعيشونَ الحربَ يتمنون مثلَ هذا المرض.
كذلك الشعراء.
يقالُ إن رحمةً موقوفةٌ بسببِ سرقةِ صابونةٍ رديئةٍ.
لأنَّ أغلبَ الأنهارِ ملوثةٌ.
بكت كثيرًا لعجزها عن رؤيةِ وجهها.
لا مرآةَ صديقةٍ في زمنِ المحن.
لا يزالُ اللهُ يلبسُ نظارتَه الصيفيةَ.
ثمة شيءٌ يحدثُ في السماء،
وأشياءٌ تحدثُ هنا.

وأيوبُ في جزيرةِ النعيم،
بعد أن مسحَ اسمَ جزيرته من كل الخرائط.
لم تعد رحمةٌ تثقُ بأحدٍ.
كل ما تريده أن تمسحَ وجهها بماءٍ نظيفٍ.
يكونُ لها مرآةٌ خاصةٌ
ومشطٌ.

لحظات

لم أحتفظْ بأرقامِ صديقاتي الافتراضيّات،
لم أحتفظْ بأعقابِ السجائرِ التي أدخنها منذ ربعِ قرن.
ولا قناني ما أشربه من جعةٍ ونبيذٍ.
لم تحتفظْ عشيقاتي بما كتبته لهنَّ من قصائدَ،
وأنا أيضًا نسيتُ أغلبها.
نسيتُ أشياء كثيرة عني وعنهنَّ وعن أصدقاءَ سحبوا صداقتهم.
أنسى كلماتِ المرورِ لفتحِ الإنستجرامِ والفيسبوكِ،
وحتى ما سأفعله غدًا.
لا أعتقدُ أنها أعراضُ فقدانِ الذاكرةِ المبكرةِ،
أتوقعُ أن يحدثَ وربما قريبًا، وقد لا يحدثُ ذلك.
وأنا أتصفحُ الفيسبوكَ، ظهرتْ لي مسرحيةُ «الملاك عازف الكمنجة»
في نهايةِ مسرحيةِ حكمت الحاج،
(العازف يواصلُ عزفه بينما تنزلُ ستارةُ النهاية ببطء).
فهمتُ أن العازفَ هو ملاكُ الموتِ.
لم أكنّ أظنُّ أن ملاكَ الموتِ يتقنُ عزفَ البيانو،

فاجأني الحاج بهذه المعلومةِ الجديدةِ.
بعدَ ثلاثةِ أقداحٍ من الجعةِ، توقفتُ عن الكتابةِ.
أظنُّ بعد الكأسِ الرابعِ أو الخامسِ سأكونُ بخيرٍ.
من عاداتي أن أذهبَ إلى السينما مرتين في الأسبوعِ،
وألا أكونَ مخمورًا،
وأختمَ ليلتي بمشاهدةِ فيلمِ رعبٍ.
حلمتُ أن جلجامشَ تناولَ علكةً ونام،
وأن إنكيدو عادَ إلى الغابةِ للبحثِ عن تلك المومسِ.
لا يزالُ طعمُ النبيذِ والخبزِ في فمهِ.
رأيته يشربُ الفودكا وعصيرَ التفاحِ،
ثم يغطُّ في نومٍ عميقٍ وهو ينتظرُ الحافلةَ.
رأيتُ بلقيسَ تلبسُ كعبًا عاليًا يشبهُ خفَّ البقرِ،
والوعولُ يمارسون طبيعةَ التزاوجِ.
أحدهم صورَ أحدَ المشاهدِ وحصلَ على مليونِ لايكٍ.
كان فعلاً عاديًا وطبيعيًا.
في هذه اللحظةِ،
تلقيتُ إشعارًا بنكيًا أن حسابي «ألفاً تحت الصفر».
لا أدري كيف سأدفعُ ثمنَ خمسِ قناني الجعةِ التي أشربها الآن؟

على طاولةِ بيدبا

يعزفُ المطرُ أغانيه المطولة في الليالي الشتوية،
أهرعُ إلى تذكر وصفاتِ النبيذِ الساخنِ.
تفوحُ روائحُ القرفةِ في رأسي.
أتذكرُ العناقَ الأولَ،
ذاتَ ليلةٍ عاصفةٍ،
كانت خيولُ الريحِ مخمورةً.
صفعتْ بقوةٍ كلَّ النوافذِ.
كنتُ أجهلُ الكثيرَ عن الموتِ والعشقِ.
لم أكنْ أستمعُ بوعيٍ إلى موسيقى الريحِ، ومعزوفاتِ باخِ الساحرةِ.
تعودُ روحُ الفيلسوفِ بيدبا مرةً في السنةِ،
تتجولُ للبحثِ عن حكايةٍ،
تحملُ معها فرشاةَ الرسمِ وبعضَ الألوانِ.
تخشى أن تحملَ معها بعضَ أزاميلِ النحتِ.
تمنعُ شرطةُ مكافحةِ الأرواحِ كلَّ الأدواتِ الحادةِ.
تطالبُ بموازناتٍ ضخمةٍ لبناءِ سجونٍ معزولةٍ.

وتحاولُ اكتشافَ الموادِ التي بُني بها سدُّ يأجوجَ وماجوجَ
في مؤتمرٍ دوليٍّ سيقامُ قريبًا.
قد تتخذُ قراراتٍ خطيرةً.
ترفضُ فريدا كاهلو كلَّ التصنيفاتِ العنصريةِ للأرواحِ،
التصنيفاتِ العنصريةِ للموتى.
رأيتها ترسمُ لوحةً جديدةً.
يغيبُ الأزرقُ من خيالها.
ثمة لونٌ عجزتُ عن فهمه.
ترتعشُ يدها اليمنى،
تنقلُ أدواتِ الرسمِ إلى اليدِ اليسرى.
تسقطُ قصعةُ الألوانِ.
يهبطُ السكونُ والصمتُ.
السماءُ مغلقةٌ.
لا أدري ماذا يحدثُ؟
أسمعُ الآن، صوتَ بيلي هوليدي:
(على أشجارِ الجنوبِ فاكهةٌ غريبةٌ،
دمٌ يلوّنُ الأوراقَ ودمٌ منسدلٌ فوقَ الجذورِ،
أجسادٌ سوداءُ تتأرجحُ مع نسيمِ الجنوبِ،

فاكهةٌ غريبةٌ تتدلى من أشجارِ الحورِ...)
رقصتْ النخلةُ،
غنت: «أكل البرد أذرعي».
أخذتُ هاتفي لتصويرِ هذا المشهدِ.
هنا.. في هذه اللحظةِ،
يظهرُ ملاكُ الموتِ وبيدهِ كرةُ سلةٍ،
بدا منتشيًا.
الكثيرُ من الضجيجِ.
لم أعدْ أسمعُ الأصواتَ.
كلُّ هذا يجعلني أبحثُ عن حانةٍ قريبةٍ،
تكونُ فيها نادلات لطيفات.
أريدُ التحديقَ في ألوانِ القناني،
الضوءُ منكسرٌ.
همساتٌ قد تأتي من العشيقةِ.
أتجاهلُ وجهَ الموتِ.
أسألُ العشيقةَ عن موعدٍ للعناقِ.
أدخلُ إحدى الحاناتِ الأنيقةِ،
تسارعُ النادلةُ بالترحيبِ بي،
كأنها تعرفني.

ترددُ: «هم في انتظارك».
طاولةٌ وأربعة كراسي،
وأبريقٌ من النبيذِ الساخنِ.
يزدادُ ارتباكي.
أجدهم ينتظرونني.
أرى بيدبا في حالةِ نعاسٍ.
تبتسمُ فريدا كاهلو وهي تداعبُ قطتها البيضاء.
تعيدُ بيلي ترديدَ أغنيتها:
«على أشجارِ الجنوبِ فاكهةٌ غريبةٌ».

الليل والمطر

كان الليلُ مفتاحَ اللذةِ،
بابَها المبشِّرُ بالعناقاتِ.
يمتزجُ الضوءُ المتسللُ من النافذةِ،
يفتعلُ ملامساتٍ خفيفةً مع القناني والكؤوسِ.
يترقبُ ماذا سنفعلُ،
أي أغنيةٍ سنشعلها،
وأي رقصةٍ سنبتكرها.
من عاداتها أن تطلبَ سماعَ قصةٍ أو قصيدةٍ قبلَ أن نفعلها.
وبعد،
تبتسمُ.
تعطي درجةَ مستوى النشوةِ،
تفتعلُ بمكرٍ المبررَ لنفعلها ثانيةً.
تمتلكُ مواهبَ الإثارةِ.
ها هو الليلُ الآن،
يأتي بأظافر طويلةٍ،

يغرسُ القلقَ في وجهِ الأزقةِ المؤديةِ إلى الحاناتِ.
يهرشُ رأسهُ بقوةٍ،
يُدمي جبهتهُ الجافةَ الباردةَ.
يركضُ حافياً.
النوافذُ مغلقةٌ.
يأتي بلا بشاراتٍ يحملها للعشاقِ.
ربما آلهةُ الليلِ مصابةٌ بمرضٍ ما،
أو فقدتْ عشيقَها.
أهي غاضبةٌ؟
توصدُ أبوابَ اللذةِ في وجهِ العشاقِ.
تنثرُ تنهيداتِ الخوفِ والفراقِ.
تُلبسُ النجماتِ الراقصاتِ أرديةً بأكمامٍ طويلةٍ،
وسراويلَ إلى أسفلِ الساقِ.
بعد كلِّ هذا المطرِ العاصفِ،
والمطرِ المنتظرِ،
يصبحُ الأخضرُ والأصفرُ غامضًا في مدينةِ درنةِ،
بشعرٍ منكوشٍ.
يركضُ أددٌ.

تصبحُ الرؤيةُ معتمةً،
يحاولُ أن يشربَ كلَّ القيعانِ،
أو يحفرَ نهرًا لحياةٍ جديدةٍ.
تتشحُ السماءُ بالبنفجسِ،
وأوراقُ الغارِ
تهطلُ من ذيلِها الأيسرِ.
لا أحد يسمعُ همساتِ أهلِ المدينةِ العتيقةِ،
لا أحد يعرفُ نهايةَ الأغاني قبلَ رعشةِ الأرضِ في تهامةِ اليمن ،
قبلَ أن ينقلَ الثورُ الضخمُ كوكبَ الأرضِ إلى قرنهِ الآخرِ.
كنتُ أصغي إلى حكايةِ الثورِ الضخمِ الذي يحملُنا فوقَ قرنهِ،
وعندما يتعبُ ينقلُنا من الأيمنِ إلى الأيسرِ،
أو من الأيسرِ إلى الأيمنِ.
وهكذا تكونُ الرعشةُ.
عندما كنتُ طفلاً،
كنتُ أسألُ عن عوج بن عنقٍ والثورِ حاملِ الأرضِ الثقيلةِ،
عن العفريتِ الأعمى وأتخيلُ جسدهُ المطليَّ بالحناءِ،
وتلك الملعقةِ في مؤخرتهِ.
هل يستخدمها ليأكلَ الأطفالَ بها ثم يعيدها إلى موضعها؟
هذا العام، وفي ليلةِ عيدِ الميلادِ قد لا يأتي بابا نويل،

أو قد يغيرُ من عاداتهِ.
ربما يشعرُ بالخجلِ.
فرسائلُ الأطفالِ منذ العامِ الماضي في جيبهِ الكبيرِ،
لم يوصلها إلى القديسين والقديساتِ.
تأخرت الكثيرُ من الأحلامِ الصغيرةِ.
لم يفعل أحدهم أيَّ شيءٍ لتضييقِ فتحةِ الأوزونِ.
لم تنفذْ الدولُ التزاماتها ولا توصياتُ قممِ المناخِ.
نرى العالمَ جميلاً من قناةِ أطلسِ،
نراه مبهجًا من أعلى برجِ إيفلِ وقمةِ برجِ العربِ.
الحقيقةُ فقط فوق قمةِ جبلِ إيفرستِ،
وعند ضفةِ نهرِ الغانجِ،
حيثُ محارقُ الموتى.
الأرواحُ تتسارعُ للبحثِ عن بابِ السماء،
بعضُ الملائكةِ الغلاظِ،
يمسكونَ كرابيجَ من فتيلِ البلاستيكِ الحارقِ،
يدّعون أنهم يفعلونَ هذا من أجلِ تنظيمِ المرورِ.
رأيتُ الموتَ يدخلُ سوقَ القبعاتِ،
اشترى عشرَ قبعاتٍ وثلاثَ مظلاتٍ مزركشةٍ.

يختلفُ الناسُ في وصفِ رأسِهِ،
بعضهم يقولُ كرأسِ الطاووسِ،
تَبرقُ عيونهُ بالألوانِ الفاقعةِ بالرمادي،
يشبهُ بيغاسوسَ،
ولديه سكرتيرةٌ خاصةٌ بالترجمةِ،
لكنها استقالت لتكتبَ بعضَ الحكاياتِ.
ثم اختفت أخبارُها ولم يعد أحدٌ يتذكرُ اسمَها.
يحرقُ تلالوكُ كلَّ ما يملكهُ من البخورِ،
من كهفهِ المقدسِ الموصدِ.
تضعُ بعضُ نساءِ الآزتكِ أوراقَ نباتِ ياوتلي على صدورهن
وفروجهن لنيلِ بركاتِ هذا الإلهِ،
للخصوبةِ والشعورِ بالنشوةِ الجنسيةِ.
كانت العشيقةُ تؤمنُ ببعضِ الخرافاتِ،
اشترت ذاتَ مرةٍ زيوتًا معطرةً بأوراقِ ياوتلي.
جربوها.. النتيجةُ مذهلةٌ، وأنا أيضًا.
قرأتُ قصصَ وهبِ بنِ منبهٍ،
ورواياته عن الملكةِ بلقيسِ،
لها أربعُ أمهاتٍ من الجنِّ.

الأولى حبلتْ وولدتْ بها،
وثلاثٌ أرضعنها حتى سنِّ السابعةِ.
لا أعرفُ متى سيعودُ الليلُ لعاداتهِ الأنيقةِ،
يسكبُ الهذياناتِ للشعراءِ والعشاقِ.

الحربُ والعشقُ من صنعِ الربّ

الحياةُ ليست كافيةً لكلِّ شيءٍ.
قد نكونُ مظلومين في الحبِّ،
نعشقُ،
لا نتقنُ قواعدَ اللعبةِ.
يتدفقُ قلبي كالمحيطِ،
قلبها القاحلُ ليس فيهِ ماءٌ ليتدفقَ.
أو أنها بعيدةٌ الآن؟
ما أفعله؟
أنتظرُ قليلاً.
أخبارُ الحربِ تأتي من بعيدٍ،
تحبطني.
يزيدُ عمرُ الحربِ كلَّ ساعةٍ،
ويزيدُ عمري سنةً كلَّ ساعةٍ.
كلُّ شيءٍ من صنعِ الربِّ.
كذلك الحربُ والخوفُ والموتُ.

العشقُ أيضًا لوثةٌ من الرعبِ والجنونِ.
له دروبٌ كثيرةٌ قد تقودُنا إلى الضياعِ،
إلى نهاياتٍ متعددةٍ.
يفقدُ أورفيوسُ بصرهُ،
يفقدُ مزمارهُ وصوتهُ،
ينسى حكايتهُ.
ظلتْ العشيقةُ في الجحيمِ.
يضحكُ الموتُ،
يطالعُ دفاترهُ القديمةَ.
لم أفهم كيف يعودُ بعضُ الموتى إلى الحياةِ،
وهل كنتُ واحدًا منهم؟
بعضُهم عادَ ليكتبَ،
يحكي ما بعد الموتِ،
ما بعد الحشرجةِ الأخيرةِ.
تدهشنا قصصُ العوالمِ الخفيةِ.
ها هو الليلُ يأتي مبكرًا،
لا يظهر منهُ سوى وجهُهُ الملطخُ بالصمتِ والفراغاتِ.

أشربُ وأكتبُ إلى فتاة لم أصارحها بالحبِّ عندما كنتُ شابًا صغيرًا ولم أكن أفكرُ في الموتِ.
أبعثُ بقصائدٍ مشفرةٍ لعشيقات سابقات،
الكثيرُ من صورِ العناقاتِ القديمةِ.
يبدو أنهن لم يعدن مهتمات بكتاباتي الجديدة
أو أنَّ الوهنَ أصابَ خيالاتي.
يزدحمُ رأسي بالفراغِ والظلماتِ،
ينهشُ الصمتُ الشوارعَ والأزقةَ.
يتمادى،
ويمدُّ بذراعيهِ الضخمتين،
يقبضُ على السماءِ.
المطرُ بلا صوتٍ.
تفقدُ العواصفُ حناجرَها.
يستسلمُ الشجرُ لهذا الواقعِ.
ستكونُ تزواجاتُ الخريفِ بلا ضجيجٍ،
أو قد لا تحدثُ.
ولن تزغردَ النخلاتُ الشاباتُ ليلةَ فقدانِ البكارةِ.

العامرية

عشتُ في بغدادٍ،
أعرفُ نهرَ دجلةَ والفراتِ.
شربتُ الماءَ والعرقَ،
تذوقتُ الدبسَ والقيمرَ.
كم من ليالٍ ضحكنا في شوارعها،
تسكعنا في الأزقةِ والأسواقِ.
تظاهرنا ونحن نحملُ صورَ أطفالِ ملجأ العامرية،
أولئك الذين حملتهم الملائكةُ في عجلةٍ من أمرها،
في ليلةٍ مظلمةٍ.
منذ تلك الليلةِ يبدو أن الملائكةَ نسيت خريطةَ المكان.
الدماءُ تخضبُ الطرقاتِ.
المقاهي والحاناتُ مغلقةٌ،
الأغاني مخنوقةٌ.
الأمهاتُ يلوحنَ براياتٍ ممزقةٍ إلى السماء.
من الأعلى، ثمة مطرٌ،

مطرٌ من رصاصٍ.
الموتُ يركضُ.
بائعةُ المناديلِ البكماءُ توزعُ ورقَ التوتِ،
ورقَ اليقطينِ.
تنتظرُ يونسَ على الشطِّ،
الحوتُ لم يأتِ،
لعله سيأتي
ليقذفَ من بطنه يونسَ العاري.
ستكونُ في انتظاره بورقِ الفاينِ،
وزجاجة عرق بعشيقة.
جسدي يرتعشُ،
يرتجفُ.
أسمعُ صوتَ الحجية بائعة الشاي في باب المعظم.
صوتَ الحجي بياع الباقلاء واللبلبي.
«على جسر المسيب سيبوني.»
لي نخلةٌ وحبيبةٌ،
لي رفاقُ الشعرِ والأحلامِ،
لي قلبٌ.
يدي ترتجفُ،

تحاولُ أن ترسمَ خريطةً،
لعل الملائكةَ تهبطُ لتأخذها.
أيّتها السماء،
أصغي لصوتِ الهتافاتِ.
مطرٌ، مطرٌ،
مطرٌ، مطرٌ،
كي تنبتَ زهرةَ عشقٍ،
كي تظلَّ النخلةُ تحلبُ لنا العرقَ والأحلامَ.
أتباعُ الأنبياءِ عطشى،
كذلك الشعراء.
أنا،
والعشيقةُ.

تحولاتُ الظلّ

ظَلِّي لا يسيرُ معي ولا خلفي،
يظلُّ ساكنًا عند الشروقِ والغروبِ.
لا وجهَ له حتى وقت الظهيرةِ المشمسةِ القارصةِ.
ظَلِّي ينتظرُها أن تلامسَ كتفي،
لا يثرثرُ، لا يسعلُ ولا يعطسُ،
يحدقُ في اللاشيء البعيد.
لا يلبسُ نظاراتٍ مثلي،
ولا المعطفَ الربيعي.
لا يزالُ بثيابِ الشتاء،
يتشبثُ بالوشاحِ.
معطفه.. بلله الندى.
لا يحملُ ساعةً ولا هاتفًا محمولًا.
ربما نسي أن الزمنَ يمرُّ.
قلتُ له: ـ
الليلُ يخلعُ بياضه وأقنعته،

والصبحُ يبسطُ جناحيه وزرقته الخافتة هنا وهناك.
نسي الكلامَ واللغةَ وأننا كنا ننسجُ الشعرَ معًا.
ربما لا تُعجبه لغتي ولا خيالاتي المفرطة.
لم أعد أيضًا أرى ظِلَّها.
كانت تسمحُ له أن يرافقني لتكونَ معي،
أو ترسلهُ خلفي ليعرف برنامجي اليومي.
لم أكن أفعلُ أشياءَ كثيرة،
أذهبُ إلى المكتبةِ وأقرأُ ما كتبهُ الشعراء المجانين،
ونادرًا ما كنت أدخلُ الحانة.
لم تكن حربٌ هناك ولا هنا،
وكان أصدقائي يبتسمون،
يرسلون بعض صورهم.
الحربُ أكلت ظلالهم.
ظلُّ ظَلِّي في مكانهِ صامتًا،
صنعَ من وشاحه لافتةً،
وكتبَ عليها... لا أرى بوضوحٍ خطه.
لا أدري من يراهُ ومن لا يراه؟
تنفضُ الريحُ بقربه غبارَ أجنحتها وتمضي.

أشفقُ عليه من البردِ،
من هذيانِ السكارى.
يوشوشُ المطرُ في أذنِ المدينةِ ولا ينسكبُ.
قلتُ: سأمضي إلى المدن الرمادية.
هكذا سماها الموتُ بعد تكليفه بمهمةٍ هناك.
قيل لي أن الظلالَ تتلاقى مثل الأرواحِ،
لها لغتها الخاصة.
إذن،
ربما ظلُّها معه،
يتحدثان، يرقصان ويتعانقان،
ويفعلان أكثرَ ما كنا نفعله،
أنا وهي.

الهروبُ مع الغجرِ

أريدُ الهروبَ إلى مكانٍ أبعدَ من المستطاعِ.
خيالاتي مليئةٌ بالتناقضاتِ،
الكثيرُ من الصورِ الناقصةِ
واللقطاتِ المهزوزةِ.
كانت أمي تخافُ أن أظلَّ صغيرًا،
إذا خطى أحدهم على ساقي،
تجبرهُ أن يعودَ الخطوةَ.
كأني رأيتُ بوليلا نيجرا،
تلك الساحرةُ ذاتُ الشعرِ الأشعثِ.
هل كانت تلاحقُ صديقتي إيريس؟
وهل هي رسولُ الموتِ؟
رأت إيريسُ ظلَّ الساحرةِ يهتزُّ،
يطولُ ويطولُ ثم يقصرُ.
أخفيتُ سرَّ إيريس عن العشيقةِ التي هجرتني ذاتَ صيفٍ واختفت أخبارها،

أخذتُ صورةً للقديسِ سان أنطونيو وقلبتها على رأسها،
قيل لي إنه سيرسلُ حلمًا أو هاتفًا إليها.
أشتري مطلعَ كلِّ شهرٍ وبدايةِ السنةِ نبتةَ صبارٍ.
أهتفُ لها لتوصلَ همساتي إلى العشيقةِ.
توقفَ القطارُ لسببٍ غيرِ معلومٍ.
تعددت الأقوالُ والتخميناتُ حول العطلِ،
حولنا الأشجارُ الكثيفةُ،
وأنا أعبثُ بهاتفي،
التقطتُ بعضَ الصورِ.
وجدتُ صورةً لحارسِ الغاباتِ،
كوروبيرا،
يقالُ إنه يتمتعُ بقوةٍ خارقةٍ،
يحمي الغابةَ من السحرةِ ويرحبُ بالعشاقِ.
يطلبُ منهم تقديمَ قرابين ولو قطرةَ دمٍ واحدةٍ،
أو أن يلتقطوا أيَّ قمامةٍ ملوثةٍ،
قبلَ التمادي في العناقاتِ.
رأيته مهمومًا،
يتصفحُ بعضَ دفاترِهِ القديمةِ.
يهرعُ، يعدُّ ظلالَ الأشجارِ،

كلما مالَ ظلٌّ أو سقطَ،
يحاولُ أن يعيدَ لحالتهِ الأولى.
كأني رأيتُ جدتي،
تصلي تحت ظلِّ شجرةِ التينِ.
تقولُ أن الصلاةَ بظلِّ الأشجارِ تعادلُ عشرَ صلواتٍ.
تجعلني أزحفُ تحتَ الظلِّ،
ألتقمُ حباتِ الترابِ المبللِ.
تضحكُ،
تعتقدُ أن ذلك سيحميني من الحزنِ عندما أكبرُ.

ها أنا الآن أشربُ الجعةَ،
بحثًا عن بعض الفرحِ.
ثم أذهبُ لشراءِ قنينةٍ من نبيذِ بوردو.
أتحاشى الفودكا.
رأسي نصفُ كرةٍ عديمةِ الملامحِ.
أتذكرُ عناقاتِ الليلةِ الأولى،
كانت عاصفةً،
كأنها صرخةُ غضبٍ من فمِ جلجامش.

هي من شقت صدري،
لتنزعَ ارتبكاتي.
فعلناها مرةً ومرةً وأكثر.
قادتني كما ينبغي،
دون أعشابٍ ولا فياجرا.
كنتُ ذلك الإنكيدو الخائفِ،
أحاولُ أن أجدَ توازني،
وأحفرُ في ذاكرتي الطفوليةِ.
هناك أشياءُ ووجوهٌ نسيتها،
فقط الأماكنُ تلتصقُ.
أصدقاءُ ومعارفُ لم أعدْ أتذكرُ أسمائهم،
فقط بعضُ الملامحِ.
بعضهم خدعهم الموتُ.
في الليلةِ الثالثةِ أو الرابعةِ من الحربِ،
هبطت ثلاثُ ساحراتٍ بشعاتٍ،
الأولى، ابتلعت نصفَ ماءِ البحرِ.
الثانية، أكلت ظلالَ النخلاتِ الحبالى،
والنخلاتِ التواقاتِ للتزاوجِ.
الثالثة، لم تفعلْ شيئًا إلى الآن.

الكثيرُ من الترقبِ والخوفِ،
وأسئلةٌ كثيرةٌ عما سيحدثُ.
لستُ صاحبَ موهبةٍ كي أسترقَّ السمعَ،
وأعرفُ نوايا الساحراتِ.
لا أملكُ أيضًا موهبةً لمعرفةِ نوايا النساءِ.
يقولُ الغجرُ أن المرأةَ ذاتَ الشعرِ الجميلِ يكونُ قلبُها طيبًا.
كانت عشيقتي تتعاركُ مع شعرها في المساء والصباح.
تكون جميلةً وهي ترقصُ رقصاتِ الروم.
تكون روميةً وبربريةً ونحن نفعلُ الحبَّ.
سألتُ نفسي: من أين لي هذه القوة؟
نفعلُها مثنى وثلاثًا،
في كل مرةٍ، كأنها المرة الأولى.
تبتسمُ ثم تضحكُ.
هل أشبهُ حورياتِ الجنةِ؟
لكني لا أريدُ أن أعودَ بكراً بعدَ كلِّ فعلٍ للحبِّ.
مسكيناتٌ، ذلك مرهقٌ!
نفختُ في روحي خمسَ سنواتٍ من الشبابِ.
كنا نجربُ كلَّ فنونِ الجنسِ في الشهورِ الثلاثةِ الأولى.

جربنا الكثيرَ من الوضعياتِ.
قلتُ لها: أهو العشقُ؟
أصبحتُ أجيدُ الكتابةَ أيضًا.
قالت: انتظرْ.. لنجربْ أكثر.
في كل صباحٍ تسقيني حقنةَ جينسين.
في المساء، أشعلُ لها البخورَ اليماني.
تتفننُ أكثرَ في تدليكِ تضاريسي الذكوريةِ.
كنتُ ابنَ الشمس

ولدتني من كتفها الأيسر،
وقيل لي ربما من ندبةٍ صغيرةٍ في فخذها.
أفتقدُ أمي في الصباحاتِ الماطرةِ.
الخمرةُ لم تعدْ تلعبُ برأسي بعد الظهيرةِ.
القصيدةُ تحتاجُ إلى عكازٍ مصنوعٍ من شجر الزان.
تترنحُ الكلماتُ،
تظهرُ، ثم تختفي.
دمي المتعفنُ يسري تحت جلدي،
يشبهُ تلك الدماءَ المسفوحةِ.
لم تفحْ منها رائحةُ المسكِ.

دقيقةُ زلزالٍ واحدةٍ،
ثم يعمُّ الهلعُ.
يحضرُ الموتُ مفرشةً طويلةً،
يحضرُ مكنسةً ضخمةً،
وبساطًا من الخيشِ.
عند بوابةِ المقابرِ،
يرفضُ الحارسُ الدفنَ دون تصريحاتٍ مختومةٍ،
دون ملخصٍ مطبوعٍ من السيرةِ الذاتيةِ وأن يكون الوجهُ واضحَ المعالمِ.
بيده سبورةٌ كتب عليها الشروط،
وأضاف عليها ملخصًا بالبياناتِ الضريبيةِ.
الكثيرُ من الذين خرجوا من تحت الأنقاضِ لا يملكون هذه الشروط.
ينتظرُ الجميعُ قانونًا مدنيًا لتحسين شروطِ الدفنِ،
أو منحةً عاجلةً تجيزُ الدفنَ بشهادةِ شاهدٍ واحدٍ.

ينتعشُ البكاءُ على التيك توك،
وتكثرُ الاستغفاراتُ على فايسبوك وانستجرام.
لا أظنُّ أن الملائكةَ أكملت تدريبَها لرصدِ كلِّ هذه الظواهرِ الجديدةِ.
ربما نكونُ خارجَ الرقابةِ لبعض الوقت.

اختلفَ الناسُ في جوازِ إرسالِ القبلاتِ والقلوبِ الحمراءِ إلى الفتياتِ.
ذاتَ ليلةٍ متوسطةِ الضوءِ، مشيتُ في بولفار بلجيك.
عشراتُ العاهراتِ، يصرخن لتقديمِ خدماتهنَّ بأثمانٍ رخيصةٍ.
اقتربت مني إحداهن،
رفعت تنورتها بشجاعةٍ،
لم أتمكن من رؤية التفاصيلِ بدقةٍ.
غمرتني روائحُ عطريةٍ متنوعةٍ.
طلبت فقط عشرة يورو لفرجةٍ ممتعةٍ،
أو عشرين لفعلِ البيب.
كانت متحمسةً وتقسمُ أنها لا تخدعُ زبائنها وتحترمُ التسعيرة.
كدتُ أقعُ على ظهري.
في تلك اللحظة، رأيتُ رقيبًا وعتيدًا،
بيدِ كل واحدٍ ثلاثُ كاميراتٍ.
كانت لحظةَ فوضى، وأظنُّ وقعتْ إحدى الكاميراتِ.
الكثيرُ من الفلاشاتِ السريعةِ جعلتني أهربُ.
يبدو أن العاهرةَ لم ترَ ما حدثَ.
صرخت بي تلعنني وتصفني بالبخيلِ والجبانِ.
كنتُ ليلتها ربعَ مخمورٍ.

عدتُ مسرعًا وأغلقتُ بابَ غرفتي،
غرستُ رأسي في ثلاثِ مخداتٍ من القطن.
ثم أفقتُ في الصباحِ وقد نبتتْ من رأسي شجيرةٌ معوجةُ الساقِ.

البوق

أهربُ من نافذةِ البيتِ وصراخِ النوارسِ،
من شغبِ الطيورِ ذاتِ الأحلامِ الصغيرةِ.
أذهبُ إلى النهرِ،
حيث الطيورُ هناكَ لها أحلامٌ كبيرةٌ،
تحبُّ العناقَ أكثر من الطعامِ والصراخِ.
أرى فتياتٍ كثيراتٍ عارياتِ الأفخاذِ،
والقليلُ من القماشِ على الصدرِ،
والسيقانُ ذواتُ ملمسٍ ناعمٍ.
خرجَ فتيةُ أهلِ الكهفِ من الظلماتِ،
ليلةَ عيدِ الموسيقى،
حيث الكثيرُ من الرقصِ والخمرِ بالمجانِ.
شربنا حتى الثمالةِ.
هل تجاوزتُ الحدَّ المسموح؟
تخيلوا أننا في ما بعدَ يومِ القيامةِ،
حتى أنا تخيلتُ ذلكَ.

لم نشعر بالدوارِ.
في الصباحِ لسعتنا الشمسُ،
بسياطِها القاسيةِ،
بينما تأثيراتِ الخمرةِ لا تزال تصفعنا بقوةٍ وعنفٍ.
توجهنا صوبَ النهرِ،
لم نجد شجرةَ اليقطينِ،
ولا يونسَ،
ولا الماءَ.
بل الكثيرُ من الرملِ الجافِّ والغبارِ،
الكثيرُ من القناني البلاستيكيةِ.
إنها أرضٌ هرمةٌ،
وسماءٌ مثقوبةٌ.
فقط،
مخلوقاتٌ مجنونةٌ،
تشبه الزومبي.
قالوا ربما غدًا سيأتي يومُ القيامةِ.
آهٍ، ليتَ الملاكَ المكلفَ بالنفخِ في البوقِ،
يتذكرُ مكانَهُ،

يتذكرُ النغمةَ،

.....

والحركةَ التي يجبُ أن يؤديها لحظةَ النفخِ.

لم أعد أفهم ما يحدث

عرضةٌ لخيالاتٍ جنسيّةٍ غير واضحةٍ،
أرَى السّماءَ ورديَّةً،
وأحاولُ أن أَتَحسَّسَ أفخاذَ الشمسِ.
الجوُّ متقلّبٌ وأكثرُ من ذلك،
لم يعد لي عشيقةٌ تهوى عناقاتِ الصَّباحِ.
الجنسُ ببطنٍ خاويةٍ له معانٍ مثيرةٌ،
الجنسُ قبلَ القهوةِ وقبلَ السيجارةِ الأولَى.
ثّمةً شيءٌ يصعبُ وصفهُ.
كانت تقولُ: «أنا متأخِّرةٌ، لكنّي سوف آخذُ قضمَةً ورشفةً».
تتلذذُ بما يسمى السلسِ،
تعتبره أقوى الفيتاميناتِ.
تقولُ إنه يعطيها قوةً خارقةً ليومها الكاملِ.
نسيتُ تلك المحادثاتِ والأفعالِ.
أنظرُ إلى السماء الرمادية،
ترفضُ أن تمطرَ،

ترفضُ أن تتوشحَ بالأزرقِ وبعضِ البياضِ.
ربما توجدُ فوضى في الأعلى.
أعيشُ فوضى غريبةً بداخلي.
أذهبُ إلى النهر المتشحِ بالأوراقِ المتساقطةِ،
تدقُّ أجراسُ الكنيسةِ قبل الظهيرةِ.
قيل لي يحبُّ أن لا أتمادى في خيالاتي المجنونةِ.
ثمة شيءٌ لا أفهمه.
ماذا يحدث في هذا الكونِ؟
هابيل،
رأيته يتسولُ ثمنَ سيجارةٍ.
قابيل،
رأيته في المحطةِ،
يعرضُ صورةَ فتاةٍ حسناءَ تجيدُ الرقصَ وأشياءَ كثيرةٍ.
تحسستُ محفظتي،
لم أجدها،
لم أجد يدي اليمنى،
بحثتُ عن يدي اليسرى،
لم أجدها أيضًا.

حاولتُ المشيَ وتمنيتُ أن تمنحني السماءُ قوةَ الركضِ.
لا أعرفُ مكاني وزماني.
هرعتُ إلى مقهى يعجُّ بحسناواتٍ لطيفاتٍ.
بدت النادلةُ متذمرةً،
لم تبتسم.
أحسستُ أنها تلعنُ حظَّها المتعثرَ.
ربما رفيقها لم يمتعها جنسيًا،
أو أن أحدًا لا ينظرُ لصدرها المكشوفِ.
أهو الضبابُ الذي يخيمُ على مدينتنا،
أم أشياءٌ أخرى؟
أشعلتُ سيجارةً،
أعلمُ أني سأفقدُ عشرين أو ثلاثين دقيقةً من عمري.
لستُ من الأذكياء في الرياضياتِ،
لم أحسب مقدارَ ما فقدته من عمري،
ولا أملك آلةً حاسبةً،
ولا دفتر ملاحظاتٍ للمصروفاتِ اليومية.
لأني عرضةٌ لخيالاتٍ مجنونةٍ،
تخيلتُ مشهدَ جلجامش والعاهرةِ،

ومشهدَ ميديا وباسون،
وصدرَ حميدة في زقاقِ المدقِّ،
وأفخاذَ الممرضةِ دي.
ها هي تمطرُ.

لم يتوقع أحدٌ هذا المطرَ الغزيرَ،
خدعتنا نشراتُ أخبارِ الطقسِ.
شيءٌ ما يحدثُ في الأعلى.
لم أعد أفهمُ أيَّ شيءٍ.

مشط الحرب

يتدفقُ شعركَ من مشطِكِ
ذلك الشلالُ الفاحمُ بالسوادِ مع بريقِ حمرةِ الحناءِ.
في الصباحِ يصبحُ متشابكًا.
ربما أننا أسرفنا باللذةِ الليليةِ.
انغمسْتُ في الشوقِ إليكِ وأنا استرجعُ تلك المشاهدَ.
أشمُّ تلالَ صدركِ المزهرةَ بالزهورِ اليانعةِ،
لمعانُ بقايا قطراتِ ماءِ الوردِ الذي نعشقه.
كانت كلُّ الأشياءِ في جسدكِ تدنو مني بحيويةٍ
وكانت جغرافيا جسدي حديقتكِ السمراءَ.
تحرثينَ فيها،
تمطرينَ عليها،
تسقينَها.
ونبتكرُ تجارب لذيذةً .
أنا أندفعُ نحوكِ كالموجاتِ المشاكسةِ.
تضحكُ العاصفةُ،

تقهقهُ خارجَ نافذتنا.
تلوكُ الظلمةَ وبقايا أوراقِ التي لا تزالُ تحتفظُ بألوانِها.
تعجزُ الأوراقُ العودةَ إلى أغصانِها.
الأمهاتُ،
الأشجارُ،
يفقدنَ الأخضرارَ.
أشعرُ أن الموتَ يتشبثُ بأصابعي
ثم يشدني إليهِ.
ظننتهُ صديقًا يريدُ مصافحتي.
لا أقدرُ أن أمدَّ يدي إلى الكأسِ ولا القلمِ.
يشدُّ يدي إلى لحيتهِ المتجعدةِ والطويلةِ.
يبدو أنه ينسى تمشيطها وصبغها بالحناء.
مع ذلك لا يبدو كهلاً.
رؤيتي مشوشةٌ.
كيف هو المهربُ إلى نهودكِ؟
مرت سنواتٌ كثيرةٌ من آخرِ مرةٍ.

فعلنا فيها الحبَّ كما ينبغي.
هل كان الخللُ في نجومنا؟
أم هي الحربُ هناكَ
جعلتني لسنواتٍ أتدحرجُ في الحزنِ.
أتدحرجُ في الغيابِ.
لحيةُ الليلِ تطولُ يومًا بعد يومٍ.
تتشابكُ
مع
أصابعي المشلولةِ.

أشعرُ بالبردِ

تسبحُ الرصاصةُ في عروقي
تتجولُ وتخالفُ إشاراتِ المرور
قلتُ لصديقي:
أشعرُ بالبرد
أريدُ تقبيلَ صدرِ أمي
أن أعودَ إليه
ذلك الطفلُ الذي لا يتقنُ حروفَ الهجاءِ
أركضُ
أهتفُ في أذنِ جدتي
حلوى... حلوى
فمي مرٌّ
قولوا لأمي إن قميصي لم يتمزق
فقط حباتُ مطرٍ تنسكبُ في قلبي... نعم الآن
لا ينسكبُ الدمُ
لم يوسخ قميصي

فقط سمعتُ ضجيجَ تلك الطلقةِ
من مسافةٍ قصيرةٍ
لكنها أخذت زمنًا أطول
لم أرَ جيدًا وجهَ الصيادِ
أشفقتُ على ذلك الغزالِ وتلك الحمامةِ
لم يكن بوسعي فعلُ شيءٍ
هل أصرخُ لتطيرَ الحمامةُ
أم أركضُ؟
أحبُّ بخطواتٍ ثقيلةٍ
ثمةُ صفيرٌ لقطارٍ مغادرٍ
ماذا بوسعي أن أتذكر؟
طائرتي الورقيةُ لم أكمل تلوينها
ذلك القاربُ المصنوعُ من النحاسِ
لن يقوى على التجديف
كرتي المدببةُ على الرفِّ الأيمنِ
وأصدقائي، ينتظرون
يحكون مغامراتهم اللطيفة
تجاربهم الأولى في القبلة الأولى

الرعشة الأولى
الصورة الأولى مع الحبيبة
الصمت الأول عند التشابك الأول للأصابع
تسبحُ الرصاصةُ في شراييني
بحركةٍ بطيئةٍ
ترعدُ السماءُ في الأعلى
تخبرُ اللهَ أن يسوع يحبُّ أمه
تشعلُ العذراءُ شمعةً
لعل الملائكةَ تنتبهُ لما يحدثُ
يبتسمُ يسوعُ والرصاصةُ تسبحُ في دمه
وقاربي النحاسيُّ يطفو ولا يغرقُ
تطوفُ طائرتي الورقية
زخاتُ المطرِ
تهزمُ الصيادَ
تنقذُ الغزالَ والحمامةَ
في هذه اللحظةِ المرتبكةِ
ربما نسيتني
ربما لأني لم أنادِها
ناديتُ أمي وجدتي وأصدقائي

أتسلقُ الآن النخلةَ
وأنثرُ على رأسِ مريمَ القليلَ من الرطب
أرمي إلى يوسفٍ في جبةِ الظلماتِ بعضها
يونسٌ وعزيرٌ وناقةُ اللهِ المعقورةِ وطفل الميزان والكبش الفحل اليماني... و...
يريدون بعضَ الحباتِ
ليتها تمطرُ
تغسلُ وجهي من الكدماتِ
ترتعشُ يدي
لا أعرفُ كيف أزيلُ بقعةَ الدمِ الصغيرةِ
تنتظرني الحبيبةُ
يعجبها أن أكونَ بالقميصِ الأبيضِ
بكاملِ أناقتي
بوجهٍ خالٍ من الكدماتِ
بقلبٍ غير مثقوبٍ
وقميصٍ مكويٍ
بيدي ساعةٍ تتقنُ حسابَ اللحظاتِ
تنتظرُ قصيدةَ حبٍ
وقبلةٍ.

طائرٌ جريحٌ

وأنتَ ترسـلُ برقياتِك إلى الأصدقاءِ والمدنِ الحزينةِ، لم تتخيل أن المطرَ سيغيبُ، وأن السحبَ ستبتعدُ كلَّ هذه المسافاتِ.

لا تـلألُ خـضراءُ توحـي للشـعراءِ بقصائدِ العشـقِ. أتسـمعُ صوتَ زواملٍ تركضُ لتدكَّ أقدامَ الجبلِ الذي لا يزالُ يحاولُ الوقوفَ؟

رأيتـه يشـيرُ إلى السـماءِ أن تعودَ كـما كانت، مـرآةً يرى فيهـا الأطفالُ وجوهَهـم، وتمشـطُ الفتيـاتُ شـعورهنَّ لليـالي الخميـسِ، ويشـيرُ إليهـا السكارى أمثالي ألا تصورهم وهم في حالةِ فوضى.

منهم من يخافُ أن تفرغَ قنينتهُ.

منهم من يخشى خمسين جلدةً.

حراسُ المدينةِ لا يعذرون الشعراءَ ولا يفهمون لغتَنا ولا لغتَك.

الحلمُ، الخمرُ والشِّـفاهِ المخضبةِ بالأحمرِ الناعمِ مثلاً سـيعتبرونها عبارةً هذيانٍ، سيقودوننا جميعًا إلى سردابٍ مظلمٍ وباردٍ، سيمنعون علينا أن نرى قصرَ غمدانٍ.. أترى؟ يغرسُ نصفَ رأسه في الغيمِ، ترقصُ الغيماتُ فوق خده الأيمنِ، وعلى طرفِ الخدِّ الأيسرِ ثمة يمامةٌ سوداءُ المنقارِ، وحيدةٌ ربما هجرهـا رفيقُها، حطَّ بقربها أبو منجلٍ اللامـعُ، وعرضَ عليها الهجرةَ إلى بلادِ الثلجِ والمطرِ، وعدَها برحلةٍ سعيدةٍ، وأقسمَ لها بالمودةِ والدعمِ.

هنا سمعتُ ضحكةَ طفلةٍ بيدها بالونةٌ، ولأنَّ البالونةَ ليست خضراءَ، أطلقَ أحدُ العسكرِ صوبَ البالونةِ، طارت البالونةُ إلى بلادِ المطرِ..

اخترقت الرصاصةُ صدرَ الطفلةِ وقلبَ اليمامةِ، وأصابت أبو منجلٍ.

أرى العيونَ التي طعنتك وتنتظرُ موتك، تلك العيونُ السكاكينُ التي بارزتها، تنتظرُ قربَ قبرك، الحناجرُ الضامئةُ للأغاني نسيت كيفَ تصرخُ، وهناك في البعيدِ من ينتظرُ خبرَ الطلقةِ، الرجفةِ، ليعلنونك بطلاً وطنياً لمدةِ يومينِ أو ثلاثةٍ، ثم يعقدون معهم صفقةً، ويكونُ الحلُّ أن يعيدوا حفرَ قبرك بمواصفاتٍ جديدةٍ، مئةَ ذراعٍ في العمقِ وجدارٍ أسمنتيٍ وأسلاكٍ مكهربةٍ.

اللحظةُ الآن..

فوقَ غصنِ شجرةٍ كافورٍ، تهبطُ مجموعةٌ صغيرةٌ من عصافيرِ الصخرِ، لم تكن تعلمُ ما يحدثُ، لأنَّك أحببتَ العصافيرَ والنهاراتِ وتمنيتَ لها الأحلامَ، بعد مداولةٍ بينَ المجموعةِ اتفقوا أن يغنوا برقيتكَ إلى الذين سيكونون شعراءَ وعشاقًا.

وفي غمرةِ التدريبِ والتحضيراتِ، شيءٌ ما يقتربُ، يسودَ الخوفُ والهرجُ، ويظهرُّ الطائرُ الجريحُ أبو منجلٍ، يحملُ قربتينِ من الدمِ: قلبِ اليمامةِ وقلبِ الطفلةِ.

فوضى

مـرَّ العامُ الأولُ ثـم الثاني، وأعوامٌ لا أتذكر عددهـا، أعجزُ أن أترجمَ هـذه الفوضى بداخلي وفوضى العالم المنهـار، يربكني أكثر. أقولُ: لا تزال تصيبنـي رجفةُ رعدِ الليلـةِ الأولى، ليلةُ مولدي، ليلـةُ العناق الأول وليلةُ موتي.

يزدادُ هذياني، يتضاءلُ عمري والشهور المتبقية لي في هذه الحياة. كانت سنواتٌ وربما الآن شهورٌ، ستصبحُ أيامًا ثم لحظاتٍ.

يبدو أن الربَّ يريدُ نهايةَ قصةِ هذا العالم، قد تكونُ ليست تلك النهاية المخطوطة في كتب السـماء، قـد لا تكونُ كلُّ تلك الكتب سـماويةً محضةً، هناك أسئلةٌ صعبةٌ على الإنسان والسماء.

مذبحةٌ صباحيةٌ، ومذبحةٌ ليليةٌ، وظهيرةٌ حارقةٌ. قتلى النهارِ لا يلتقون بقتلى الليل، وقتلى الطقس الممطر قد يظلون عالقين، وموتى الليالي المظلمةِ لا يعرفون وجهتهم، وقد يسلكون طريقًا خاطئًا إلى الضفة الثانية. يصرخُ أحدهـم: «ما بعد الموتِ ليس حيـاةً ولا يقيناً بالهدوء». كلنا نريد الراحة، كلنا في حالةِ خوفٍ: البشرُ، والملائكةُ، والشياطينُ.

لسـتُ من الشـعراء الذين لا أجنحةَ لهم، باركتني تسـعُ نجماتٍ تجدن الطـيرانَ وعبورَ المحيطـات، لا يزال قلبي ينزلقُ ويتدحرج، ولا يسـتطيعُ

العـودة إلى صدري. قد تكونـين في مكانٍ قريبٍ مني، لكن يفصلنا سـورٌ تتعالى جدرانه. ما كان يجب أن نفترق، لقد أضعنا أنفسنا كثيرًا.

أقـولُ للوطنِ الحافي، الخائفِ من خطواته، إنهض، يكفيكِ انتظاراتٍ، تنتظرُ بلقيسَ التي لا تزالُ غريبةً في قصرِ الملكِ سـليمان، وسـتعودُ بأساورَ وخلخالٍ يرنُّ بقوةٍ، يحرسُها غرباءُ، تنتظرُ ذي يزنٍ سيجمعُ الغرباءَ ليطردَ غرباءَ ويدفعَ الضريبةَ لغرباءَ.

يبـدو أن أغلبَ أبطالِنا ينتـصرون بالغريب، يعلنون أنفسـهم أبطالًا، وشعبهم غريبٌ. تُكرّمهم منظماتُ الجوائزِ وبيعُ الأوطانِ.

آه يـا يمن، الشـهقاتُ من وجعِ اللحظةِ عندما تشـعرُ أن بعضَ أهلك غرباءُ عنك، يبيعونك بثمنٍ بخسٍ إلى الأوغادِ، يزيدونَ أوجاعك بسيفٍ غريـبٍ وخلخـالٍ يـرنُّ، وأنا حبيبتـي لا تغني لي في عزلتـي الحزينة، يغني الخوفُ بصوتٍ أجشٍّ ويدّعي أنه المكتوبُ في دفاترِ أقدارنا.

ثمة فوضى في الأرض، تختلطُ دفاترُ وتضيعُ أجزاءٌ منها. ثمة فوضى في السماء، لكننا لا نعرفُ ما يحدث.

لماذا لا تعودُ حياةُ كلِّ واحدٍ منا إلى الآخر؟

لا أعلمُ كيف جفتْ كلُّ تلك الرغباتِ المتدفقةِ في عينيكِ؟

تسألني الشـواطئُ المرصوفةُ بالندى عنكِ، نمت أجنحةُ الموجِ ولم يعد البحرُ يستطيعُ لجمَ ثورتها، تفتعلُ السماءُ الصمتَ رغم كل ما يحدث! أو أنها تخافُ أيضًا من تقنياتِ الحريقِ الحديثة.

حتى الشمسُ رمت بكل أدواتِ التجميلِ ومساحيقِ المكياجِ في المزبلة خوفًا من فيروسٍ مرعبٍ.

تموتُ لغةُ الغاباتِ في أدراجِ مكاتبِ المنظماتِ.

تموتُ قصائدُ العشقِ في كتبٍ لا يقرؤها أحدٌ.

أصبـح مـن النـادرِ أن يجازفَ الفنانونَ بالرسـمِ أسـفل نافذةِ السـماء، يظنون أن المطرَ يمحو كل شيء، أو أنه سيبدلُ ألوانهم.

قال المطرُ: «أصبح جسدي من زجاجٍ، سأكون أمينًا عليه.»

لكن المخبرَ الذي يُصيغُ قوانـينَ النقاباتِ الفنيةِ والإبداعيةِ وضعَ مادةً تحذرُ من الدلالاتِ المتعددةِ والمركبةِ.

أحمل مظلةَ الصمتِ وأمشي لكني لستُ أعمى.

أهداني الخريفُ تلك المظلةَ حتى لا أتمادى في البوحِ المجنون.

كلما يأتي الخريفُ، يأخذُ مظلتي وظلمتي ليجددَ قماشَهما ثم يعيدهما إليّ.

بعـضُ الصورِ غـادرت رأسي إلى المجهولِ، تمنيتُ أن أسـتعيدَ بعضها لأنها تستحقُّ التذكر، عشنا ظهيراتٍ وصباحاتٍ مترفةٍ باللذة.

فعلنا الحبَّ ببطونٍ خاويةٍ قبل أن تلدَ الشـمسُ بعضَ صباحاتها، لكننا لم نفعلها ونحن في حالةِ ثمالةٍ تامةٍ.

إلى أين ذهبتِ تلك المشاهدُ؟
لم نكن وحدنا فيها، كان الضوءُ وصفيرُ الريحِ، دخانُ البخورِ ورقصاتُ الشموعِ.
تهربُ الصورُ ومعظمُ تلك الأشياءِ والأصواتِ كلما حاولتُ أن أخلقَ من تلك البهجةِ نصًا سرديًا.
أتذكر الآن أن نصوصَ السوترا البوذيةِ تقول بأن كل الأشياءِ وكل الكائناتِ لا تعكسُ فقط نفسها، ولكنها تعكسُ المطلق، ماذا عن عاداتِ عناقنا وتلك التفاصيلِ الصغيرةِ والصغيرةِ جدًا التي لم نكن نبوحُ بها لأحد؟
متى ستتذكرينها؟
متى ستدركين أنها كانت تعكسُ شيئًا أكبر من مجرد أفعال؟
الشللُ هو الفراغُ، والفراغُ هو الشللُ ـ سمعتُ بوذا يهمسُ بهذه العباراتِ. لا يوجد شكلٌ في الفراغِ، لا ينقصُ ولا يزيدُ شيءٌ من الفراغِ، أفهمُ إذن أن الفراغَ هو اللا أشياء.
أود أن أسألكِ من أعدمَ عشقنا وهل صار فراغًا؟
الفراغُ لا يمتلكُ قلبًا ينبضُ ويتنفسُ.
الفراغُ لا يموتُ، يعجزُ ملاكُ الموتِ ومعاونوه عن الإمساك به.
الأشياءُ والقصصُ والحكاياتُ الفانيةِ تصبحُ فراغًا.

يدور رأسي حول نفسه كأنه في مهبِّ الفراغِ، يبحث عن فلكِ دورانِ رأسكِ ومجرةِ الفراغِ التي تسكنينها.

شكرتُ بوذا الذي نبهني إلى حكمته المضيئةِ وأخبرني أن الاتجاهاتَ عددها عشرة، وفي كل لحظةٍ وزمنٍ عشرةُ أجزاءٍ، أفهمُ من ذلك أن حكايتنا وحكايةَ أيِّ عشقٍ ليست حكايةً واحدةً، هي عشرةُ أجزاءٍ، عشرةُ عوالمٍ، عشرةُ مصائرٍ وعشرةُ أقدارٍ.

أشعر ببعض الأملِ وسأنتظرُ الحيواتِ التسعِ القادمةِ لعشقنا، لعناقاتنا الجديدةٍ.

ربما يكون موتي قريبًا لكني لا أخافه الآن، سأعودُ للحياةِ ثم أموتُ وهكذا بقي لي تسعُ حيواتٍ، وفي كلِّ حياةٍ سنلتقي، قد أكون في حياتي القادمة أصمَّا أو أبكمًا لكني سأفهمكِ وأكتبُ إليكِ بطريقةٍ جديدةٍ، سنلتقي ونقع في الحبِّ في كلِّ حياةٍ..

اللذة أو الموت

عدتُ إلى الحاناتِ رغمَ ضجيجِها.
أتأملُ أفخاذَ ومؤخراتِ النادلاتِ المثيراتِ.
أتأملُ فتياتٍ في حالةِ رغبةٍ وخمرٍ.
أتأملُ ذاتي فلا أجدُ أحدًا يراني هنا.
لا أملكُ عناصرَ الإثارةِ.
أبحثُ عن مناخاتٍ للتدفقِ والكتابةِ.
.....
أينَ هي؟
هي في الحياةِ والعشقِ؟

أغراني ملاكُ الموتِ، في سنواتِ الحربِ الطويلةِ، أن أكونَ شاعره وأن أكونَ صديقه وألا أعرفَ بقيةَ الملائكةِ التي تطمحُ أن تعشقَ وتقدمَ طلباتها إلى الله كي يمنحها نعمةَ العشقِ، وتأملُ أن يستجيبَ الربُّ لطلبها غدًا، ربما يختبرُ الربُّ صدقَ خياراتِها؟

العشقُ يعني النزولَ من السمواتِ العاليةِ والهبوطَ إلى الأسفلِ.

شـخصيًا لا أتَصوَّرُ نفسي بنظارةٍ سـوداءَ وقبعةٍ رماديةٍ أو خضراءَ كما يفعـلُ مـلاكُ الموتِ في عطلتهِ القصـيرةِ جدًا وبعيدًا عـن كلِّ الأعينِ، فهو أسرعُ مـن الريـحِ والضـوءِ في التنقـلِ، ويملـكُ أحذيةً وأجنحـةً وأذرعةً وأحصنةً طائرةً ولهُ ألفُ قناعٍ.

أنـا... أنـا فلا أملـكُ أيَّ من هذهِ المواصفـاتِ ولا القـدراتِ الكبيرةِ، أخافُ أن تفرغَ قنينتي وعلبةَ التبغِ.

ما أخافهُ العجزُ عن تسديدِ ثمنِ الكأسِ الذي سأطلبه.

لا أدري ماذا سأفعلُ لو أنَّ حسناءَ مثيرةً تدعوني إلى لحظاتِ عناقاتٍ، أخافُ ألا أستطيعَ دفعَ ثمنِ كأسٍ من الجعةِ من أجلها.

هـي سـتحتاجُ إلى بعـضِ المثيراتِ البسـيطةِ، وقد لا يكفـي أن أبيعَ لها قدراتي في قراءةِ الكفِّ والفنجانِ والطالعِ.

قـد لا يكفـي أن أطلعها على ما رسـمتهُ مـن لوحاتٍ عاريـةٍ لامرأةٍ لم أُعاشرها بعد، ربما فعلتُ ذلك في أحلامي.

وأحكي لها حكاياتِ العشقِ القديمِ وقدراتي الجنسيةِ القويةِ القديمةِ.

كنتُ أفعلها مع العشيقةِ مثنى وثلاث، ربما لن تصدقَ كلَّ هذا الهذيان.

يرتفـعُ الضجيـجُ والصخـبُ الآنَ ويختلـطُ الحابـلُ بالنابـلِ، الكذبُ بالصدقِ.

تصلُ الرغباتُ إلى مستوى أكبرَ من المنطقِ ونظرياتِ الأخلاقِ الأفلاطونية... رقصٌ وعناقاتٌ تنتصرُ للذةِ وتنسى الموتَ الموجودَ فقط في رأسي.

أهرعُ إلى حانةٍ أفريقيةٍ، يعلوها الصخبُ، تدعوني امرأةٌ راقصةٌ ومنتشيةٌ للدخولِ، فعلاً أدخلُ وأرمي بجسدي في هذا الصخبِ الغريبِ.

سأفعلُ ما بوسعي كي أنتشي لليلةٍ.

أسمعُ أغنيةً لم أفهم بعدُ كلَّ كلماتها، تقول: «هل لديكَ المالُ أم أنكَ تمزحُ؟»

أو هكذا فهمتُ كلماتِ الأغنيةِ التي يرقصُ معها الجميعُ بجنونٍ.

ربما فهمهم يختلفُ عن فهمي، أو هم في حالةِ نشوةٍ أعظمَ من نشوتي.

ماريانا تغريهم جميعًا وتخرجهم عن المنطقِ وهي تسارعُ إليَّ لأخذِ عناقاتٍ محرمةٍ وأنا أحدثها عن قصيدتي الأخيرة.

ما يدهشني في المكانِ بعضُ اللوحاتِ ومنها لوحةٌ لقوقعةٍ تنفجرُ بجسدٍ أنثويٍ وأقنعةٍ لتعويذةٍ قديمةٍ ترغبُ أن تنتصرَ للحياةِ واللذةِ.

يمضي الليلُ سريعًا وأخرجُ من كلِّ الحاناتِ إلى الفراغِ.

أتأملُ القمرَ في لياليه الأولى، يحبو نحوي ويرسلُ لي أوجاعًا، أن أقللَ من تفكيري بالموتِ وأفكرَ بجديةٍ في اللذةِ والعناقاتِ.

سأضعُ نفسي إلى النهاية.

اللذةُ حيث لا موت.

ها أنا أزجُّ بنفسي في حانةٍ أخيرةٍ، لا قانونَ فيها.

صخبٌ يعلو ويعلو، لا يهتمُّ أحدٌ بحركةِ القمرِ وما تقولهُ النجومُ، الجميعُ تواقٌ إلى الملذاتِ الممكنةِ.

تفعلُ الخمرةُ فعلتها البديعةَ.

أتركُ نفسي لكلِّ هذا الضجيجِ، لعلَّني أنسى الموت.

السيرة الذاتية

حميد عقبي Hamid Oqabi

- **كاتب، شاعر، سيناريست، ناقد، مخرج سينمائي وفنان تشكيلي**
- **أنتج وأخرج عشرة أفلام سينمائية قصيرة**
- **له إحدى عشرة رواية صدرت في 2024 وخمسة داوين شعرية وأربع مجموعات قصصية.**
- **له تسعة كتب بمجال النقد السينمائي.**

2025 صدر لة بداية هذا العام

- **خمسة كتب جديدة عن دار الدارويش للنشر والترجمة**

ـ رواية الجني وردان

ـ رواية الممرضة دي

ـ أبو السلاسل ـ أم الدويس ـ بني كلبان وقصص أخري

– سرديات (13) قصة تتشابك مع شخصيات خرافية وأسطورية من دولة الإمارات العربية المتحدة واليمن وفرنسا

ـ ديوان لذعات نبيذ مونرو

Le cinéma de poésie : une quête du sacré / suivie de la question sur l’adaptation du poème au cinéma.

- كتاب قضايا المهمشين وتصوير الهامش في السينماء العالمية : تأملات في خمسين فيلماً حول العالم.

Éditeur: ALT Magazine & Press

- وكتاب كتاب (الشِّعر كمرآة للوجود والمقاومة وأغنية ضدَّ الظَّلام
- دراسة عن شعر عاطف الدرابسة) ، الصادر عن دار نشر صبري يوسف، بالسويد.
- نشر ثلاثة كتب سيناريوهات أدبية، كتاب سيسيل وكتاب بلال وحورية باللغة الفرنسية، وكتاب أقنعة سيناريو أدبي باللغة العربية صدرت عن دار الدارويش للنشر والترجمة
- له ثلاثة كتب باللغة الفرنسية وتُرجم له إلى الألمانية ديوان ربما كان الخلل في نجومنا، تحت إشراف ودعم من الشاعر اللبناني د. سرجون كرم وقسم الدراسات العربية بجامعة بون الألمانية.
- أصدر ستة كتب نصوص مسرحية هي: الرصيف، كائنات أخرى، لا شيء يحدث هنا، أطفال الشمس صدرت عن دار كتابات جديدة للنشر الإليكتروني، 2016.
- كتاب رغوة نص مسرحي مترجم للإيطالية، دار الدراويش للنشر والترجمة.

- كما صدر كتاب ليلة ممطرة، دار أطياف للنشر والترجمة، ديسمبر 2024
- كـما نشر عقبـي أكثر من عشرة نصوص مسرحيـة بعدة مجلات ومواقع ثقافية.
- أقام عشرة معارض تشكيلية في فرنسا
- ناشط ثقافي، مؤسس المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح، 2018

www.youtube.com/@aefctarabeuropean-hamidoqabi